دراسات فی العلوم الإنسانية
٣١(١)، الربيع ١٤٤٥/١٤٠٣/٢٠٢٤، صص ٢٧-٥٠
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

أسلوب الحجاج في المراسلات بين الإمام عليّ(ع) ومعاوية (دراسة تداوليّة)

علي باقري[١]، علي أكبر نورسيده[٢*]، علي ضيغمي[٣]، سيدرضا ميرأحمدي[٤]

١.طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، إيران
٢.أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، إيران
٣.أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، إيران
٤.أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، إيران

تاريخ الوصول: ١٤٠١/١١/١٨ تاريخ القبول: ١٤٠٢/٠٤/٠٣

الملخّص

يعدّ الحجاج من أركان الدراسات التداوليّة، وهو عمليّة جدليّة في الخطاب يسعى فيه المرسل إلى إقناع المتلقّين بفكرة معيّنة، أو زيادة قناعتهم بها، أو ردّهم عن عقيدة معيّنة، مدعما كلامه بحجج هادفاً الإفهام، وهو عمليّة تواصليّة جوهرها قضيّة أو فعل ما، مرتكزا في ذلك على مجموعة من الآليّات الفلسفيّة واللغويّة والبلاغيّة. فحاولت هذه المقالة دراسة أسلوب الحجاج وآليّاته في المراسلات بين الإمام عليّ(ع) ومعاوية على ضوء اللسانيّات التداوليّة، رامية إلى الكشف عن تقنيات الحجاج في التأثير على المخاطب وإقناعه. واعتمدت الدارسة على المنهج التداوليّ في ضوء الوصف والتحليل لعرض النماذج وتحليلها؛ حيث عالجت في البداية مفهوم التداوليّة والحجاج والعلاقة بينهما وأنواع الحجاج، ثمّ تطرّقت إلى قراءة تقنيات الحجاج بعد تبيين السياق العام في المراسلات. ومن أهمّ نتائج البحث هي تجربة الإمام (ع) ومعاوية في المراسلات تبنى على ثنائيّة الادّعاء والردّ، إذ يأتي الأوّل من قبل معاوية والثاني من قبل الإمام(ع)، فهكذا أصبحت التداوليّة من سمات المراسلات بينهما للتفاعل القائم بين المرسِل والمرسَل إليه، محاولَين في إثارة الفكرة وترسيخها قصدا لإقناع الآخر بمختلف الآليّات والتقنيات الحجاجيّة كالمقابلة والتكرار والإيجاز والإطناب والعوامل التأكيديّة، لتتمثل أثرا أعمق في نفس المتلقّي لعدم كونها وسيلة للتزيين، بل جاءت عفويّة الخاطر في خطاب الإمام(ع) وأدّت وظائف كثيرة في التوجيه، والإرشاد، والتشويق، والتذكير حيث يسعى الإمام(ع) من خلالها إفهام مخاطبه معاوية مع مراعاة السياق اللغويّ والخارجيّ للخطاب، وبالمقابل يحاول معاوية إفحام مخاطبه وإظهار تفوّقه عليه بالهجاء والسخريّة من خلال العنف والإكراه.

المفردات الرئيسة: التداوليّة، الحجاجيّة، الروابط الحجاجيّة، مراسلات الإمام عليّ(ع) ومعاوية.

---

٢. الكاتب المسؤول: Email: noresideh@semnan.ac.ir

١- المقدمة

لقد ظهرت التداوليّة في الثقافة الغربيّة كاتجاه لغويّ، يأخذ أشكالها من النظريّة البنيويّة[1] والتوليديّة[2] اللتين تهتمّان بالنظام اللغويّ وبنية اللغة دون وظيفتها، مما يمكن أن نعدّهما لسانيّات الوضع، غير أنّ التّداوليّة تهتمّ بوظيفة اللغة إلى جانب بنية اللغة ونظامها في لسانيّات الاستعمال. بعبارة أخرى أن التداوليّة هي دراسة اللغة في مقولتَين: إحداهما الاستعمال والأخرى هي التواصل اللغويّ أو التواصل باللغة.

يرجع مصطلح التداوليّة في المعاجم العربيّة إلى مادة (دَوَلَ)، وقد وردت فيها على تحوُّل شَيءٍ من مكان إلى مكان، وتَداوَلنَا الأمرَ أخذناه بالدَولِ، وقالوا: دواليك؛ أي مداولة على الأمر (ابن منظور، ١٩٩٧: ٤٥١/٣) والدلالة التي تحمل على التداول هي التحوّل والحركة والدوران. وأمّا في الاصطلاح فإنّ التداوليّة هي علم جديد للتواصل والتي تدرس الظواهر اللغويّة في مجال الاستعمال، كما يعتقد الصحراويّ؛ إيجاد القوانين الكليّة للاستعمال اللغويّ، والتعرّف على القدرات الإنسانيّة للتواصل اللغويّ، وتصير التداوليّة من ثمّ جديرة بأن تسمّى علم الاستعمال اللغويّ (الصحراويّ، ٢٠٠٥: ١٧). هذا التعريف تعريف إجرائيّ للتداوليّة، حيث يربطها بالتواصل على شكل يجعلها اللغة ودراستها في الاستعمال مع حضور الأنا والأنت. وفي مجال آخر يتمّ تعريفها: الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتمّ بقضيّة التلاؤم بين التعابير الرمزيّة والسياقات المرجعيّة والمقاميّة الحديثة (بلانشيه، ٢٠٠٧: ١٨). إذن التداوليّة تدرس صيغة التفاعل التي يقيم الناس بها علاقاتهم الاجتماعيّة ويتلقّون لأنفسهم غاياتها، فبالتالي تحمل معنى المشاركة بالأقطاب الثلاثة للعمليّة التداوليّة.

تعدّ التداوليّة فرعا لسانياً يدرس التواصل بين المتكلّم والمتلقّي، حيث تدرس التداوليّة العلامات التي يستخدمها المتكلّم في عمليّة التواصل وتعالج العوامل المؤثرة في اختيار علامات معيّنة، وتتناول العلاقة بين الكلام والسياق. فيقصد بالتداوليّة «تلك المنهجيّة التي تدرس الجانب الوظيفيّ والتداوليّ والسياقيّ في النصّ أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلّم والمخاطب، بالتركيز على البعد الحجاجيّ والإقناعيّ وأفعال الكلام داخل النصّ.» (حمداوي، ٢٠١٩: ١٠). التداوليّة تتجاوز الدراسة البنيويّة للغة إلى دراستها في سياق استعمالها ومراعاة كل ما يُحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلّمين. لذلك عرفّها جيلاني دلاش: إنّها تخصّص لسانيّ يدرس كيفيّة استخدام الناس للأدلّة اللغويّة في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفيّة تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث. (الجيلاني، ١٩٩٢: ٥) فالتداوليّة تدرس اللغة باعتبارها أداة تواصليّة بين المتكلّم والمتلقّي ولأجل هذا من

1. structuralism
2. Generartive

الضروريّ أن تأخذ بعين الاعتبار عناصر الخطاب وعوامله والظروف المتعلّقة بمستعملي اللغة في التواصل.

وعلى هذا الأساس إنّ المراسلات بين الإمام(ع) ومعاوية ذات صيغة تداوليّة لحضور المرسل والمرسل إليه، لما تستخدم فيها اللغة من قبل الأطراف المشاركة في بعدها الاستعمالي، ولهذا تقتضي أن يتمّ تسليط الضوء عليها بالنظرية التداوليّة وهذا من جهة، ومن جهة أخرى وبما أنّ المراسلات شكّلت ملابسات المعركة اللسانيّة،حيث يتّهمه معاوية بشتّى الاتّهامات ويردّ الإمام(ع) عليه ويرفض هذه الاتّهامات، فيتشكّل خطاب جدليّ بينهما أكثر متاحا لدراسة الحجاجيّة – من أهم المجالات التداوليّة– والكشف عن آلياتها ووسائل الإقناع المستخدمة فيها.

١–١. أسئلة البحث

– ماهي الآليّات الحجاجيّة المستخدمة في مراسلات الإمام عليّ(ع) ومعاوية؟

– كيف يتجلّى الإقناع والتأثير في خطاب الإمام(ع) ومعاوية؟

٢–١. خلفيّة البحث

هناك دراسات تطرقت إلى رسائل الإمام عليّ (ع) خاصة ومراسلاته مع معاوية عامة، حيث تعتمد هذه المقالة للوصول إلى الغاية المنشودة على **المناهج التداوليّة وآلياتها**، فتحاول تطبيق آليّة مميزة لها كالحجاجيّة في الرسائل المتبادلة بين الإمام(ع) ومعاوية، مستعينة **بالوصف والتحليل**. فتشير بدايةً إلى تعريف التداوليّة والحجاج والعلاقة بينهما ثم تذكر أنواع الحجاج ثمّ تتطرّق إلى الرسائل المتبادلة بينهما للكشف عن الآليّات الحجاجيّة فيها والطرق الإقناعيّة التي يسير عليها الإمام(ع) ومعاوية في خطابهما الجدليّ. ولما كان مجال الدرس الحجاجيّ متّسعا جدا، فركّزت الدراسة على بعض الآليّات والروابط الحجاجيّة بشكل كبير لاستخدام المحاجّين من هذه الآليّات أكثر من غيرها لأثرها الأعمق والأشدّ في الإقناع والتأثير. فتمّ اختيار الرسائل المتبادلة وفقا لوجود العنصر البلاغيّ المشترك فيها اكتفاء بأقلّ شاهد لكل منهما وصولاً إلى الأهداف المنشودة حسب ما تقتضي حدود البحث، وبما أنّ مراسلات الإمام(ع) ومعاوية جاءت على شكل الادّعاء من قبل معاوية والردّ من قبل الإمام(ع) فتدرس المقالة رسالة معاوية أولا ثمّ رسالة الإمام(ع) التي جاءت ردّا على تلك الرسالة.

٢-الإطار النظريّ

٢-١.الحجاج وأنواعه

يعدّ الحجاج[1] من أهم القضايا التّداوليّة[2] والذي نشأ من بطن علمَي المنطق والبلاغة. وذلك **في اللغة:** والحُجَّة وجه الظفر عند الخصومة وتأتي بالضّم بمعنى الدليل والبرهان وقيل ما دُفع به الخصمُ. (فراهيدي، ١٤١٤: مادة حجّ) وبالفتح تأتي على شكل حَجَّهُ يحُجّه حَجَّة؛ بمعنى غلبه على حُجَّتِه. (ابن منظور، ١٩٩٨م: مادة حجج) فهي بهذا المعنى تحمل مفهوم المغالطة والاحتجاج. والحجاج **في المصطلح** استراتيجيّة لغويّة تبنى أساسا على مجموعة أفكار ومضامين معيّنة في شكل قوالب لغويّة مختارة، موجّهة للغير بقصد التأثير والإقناع، ولذلك فقد عرّفه طه عبد الرحمن بأنّه «كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها.» (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٢٢٦) وضع بيرلمان[3] الحجاج كوسيط بين المتكلّم والمخاطب في سياق معيّن؛ أي يكون هناك تفاعل بينهما، يتحقق من خلال العلاقات الجدلية بين الفكر والعمل.

نجد الحجاج توازياً مع التداوليّة حيث يعدّ من أبعاد الخطاب، وبمعناه العام أنّ الحجاج فعاليّة لغويّة، يستمدّ حدوده ووظائفه من مرجعيّة خطابيّة محدّدة، كما تعتبر خصوصيّة للحقل التواصليّ الذي يندمج في استراتيجياته الفرديّة والجماعيّة، فعليه إنّ الحجاج تدور في حلقته التداوليّة (بخولة، د.تا: ١٧٠). يرى الباحث حبيب أعراب أنّ الحجاج ملازم لكلّ خطاب على وجه الإطلاق، إذ إنّ كلّ خطاب حالة في اللغة، تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأوليّة والقاعديّة لكلّ حجاج، أي الاستدلال والتدليل والحجاج يخضع في دلالته لما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعيّة من رخوة ومرونة تداوليّة (أعراب، ٢٠٠١: ١٠٥). فعلى هذا، الحجاج تقنية من تقنيات الخطاب، والخطاب مجال من مجالات التداوليّة. فالحجاج عمليّة خطابيّة اتصاليّة لحضوره ضمن الخطاب.

والحجاجيّة في الدرس التداوليّ هي «الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف أو سلوك المتلقّي بالتأثير فيه بالخطاب، أي بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من معين العقل أو من معين العواطف والانفعالات.» (الولي، ٢٠١١: ١٧) وذلك أنّ الخطاب الحجاجيّ يقصد به التأثير في المتلقّي فهو عمليّة تأثيريّة تعتمد على الحجّة وإن تمّ ذلك كان الخطاب ناجحاً مؤثّراً، كما يقدم بيرلمان تعريفا للحجاج يذكر فيه وظيفته وهي حمل المتلقّي على الاقتناع بما يعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع. (الدريدي، ٢٠٠١: ٢١) وفي الحقيقة جملة من الأساليب

1. Arguments
2. Pragmatics
3. Perleman

تلعب دورا مهمّا في الغاية الحجاجيّة في الخطاب وهي محاولة استمالة الشخص وإقناعه بالقضيّة المعروضة عليه، أو زيادة شدة إقناعه لحمله على عمل أو تهيئته له؛ لذلك عدّت **الاستمالة** من أهم العناصر التي بُنيت عليها نظريّة الحجاج.

ينزل الحجاج عند ديكرو[1] وأتباعه في صميم التداوليّة، حيث يهتمّ بالوسائل اللغويّة وبإمكانات اللغات الطبيعيّة التي يتوافر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة. (العزّاوي، ٢٠١٠م: ٥٧) ذلك أنّ اللغة تحمل في ذاتها وظيفة حجاجيّة، فعلى المتلقّي استنتاج النتيجة لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة بل اعتماداً على بنيتها اللغويّة.

يختلف الحجاج عند بيرلمان وديكرو، فالحجاج عند بيرلمان يتمثّل في قضيّتين ومداره الاستدلال العقليّ الذي يقوم على المنطق. «وحجاجيّة الخطاب متأتيّة من قدرة هذا الحجاج على أن يفرض على المخاطب نوعا محدّدا من النتائج، فكل كلام يكون دعائيا في عمقه.» (الحباشة، ٢٠٠٨: ٢١) ويسعى المحاجّ من خلاله إلى تقديم سلسلة من القضايا ينبثق بعضها منطقياً من بعض، مع الحرص على التأثير في المتلقّي من أجل التصديق. أما عند ديكرو فيتجسّد في عملين لغويّين. فيكون الحجاج في إنجاز سلسلة من الاستنتاجات ضمن الخطاب، التي تتشكل من الأقوال والجمل المتوالية، بعضها بمنزلة الحجاج، وبعضها الآخر بمنزلة النتائج. والحجاج «حسب ديكرو نظام داخلي للخطاب قائم على اللغة، يسهم في ترابط عناصر الخطاب وتناميها، إذ يظهر الخطاب على أنه سلسلة من المكوّنات التي تلبّي اشتراطات محددة، وتشير إلى مظاهر الاستمرار المحتملة.» (العزاوي، ٢٠٠٦: ١٨). الحجاج عند ديكرو ينتهي إلى ميزتين أساسيتيْن؛ إحداهما التأكيد على الوظيفة الحجاجيّة للبنى اللغويّة والأخرى إبراز السمة التوجيهيّة للخطاب.

ينشغل الحجاج بوظائف الخطاب في حقله التواصليّ الذي يتناسب واستراتيجياته، فحصر الحجاج عند بعض الباحثين من بينهم؛ ديكرو، وبرلمان، وعبد الرحمن طه وانكسومبر[2] في أنواع ثلاثة: **الفلسفيّ** وهو ينطلق من مقدمات مقبولة صائبة وذلك بهدف استنباط أو قبول أطروحات أخرى. في الحقيقة هذا النوع من الحجاج «يتّخذ من الفلسفة بعدا من أبعاده وآليّة من آليّاته فتقاس نجاعته بمعايير خارجيّة كالقوة والضعف والكفاءة أو عدمها والنجاح أو الفشل في الإقناع ويكون هدفه التأثير والتقبل». (مدقن، ٢٠٠٦: ١٩١) و**اللسانيّ** وهذا الحجاج يركّز اهتمامه على الجانب اللغويّ في الخطاب. تتضمّن فيه الأدوات اللغويّة مثل ألفاظ التعليل والأفعال اللغويّة والسلالم الحجاجيّة مثل حتّى، لكن، بل وغيرها. (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٢٧٥) و**البلاغيّ** الذي يتّخذ مجالاته وآلياته من البلاغة. إنّ الحجاج البلاغيّ «يتمثّل في استعمال الأوجه البيانيّة كالاستعارة، والتشبيه، والمبالغة، والطباق وأساليب المعاني كالقصر، والوصل والفصل

1. Ducrot
2. Anxomber

والأساليب الخبريّة والإنشائيّة بوصفها آليّات بلاغيّة تسهم في الإمتاع والتأثير، بالإضافة إلى وظيفتها الحجاجيّة كونها تعبّر عن الحجج بطريقة مركّزة تجعلها أكثر تأثيرًا» (الشهري، ٢٠٠٤: ٤٥٦).

٣-الإطار التطبيقيّ

١-٣. قراءة تقنيات الحجاج في مراسلات نهج‌البلاغة

يعود سياق الخطاب في المراسلات بين الإمام عليّ(ع) ومعاوية إلى القضايا التي حدثت بعد قتل عثمان بن عفّان بشكل عام، كما يتشكل من مبايعة الإمام خليفةً للمسلمين بعد عثمان، ورفض معاوية ومن معه من مبايعته بالخلافة، لهذا أصبح الخطاب بينهما خطابا جدليا يقتضي أن يتمّ تسليط الضوء عليه عبر النظريّة الحجاجيّة، وما يحمل من آليات. وفيما يأتي تحليل لنصوص الرسائل التي ركّزت على هذه القضية.

لقد جاءت في رسالة معاوية إلى الإمام(ع): «**أمّا بَعدُ فَإنّا بَني عَبدِمَنافَ لم نَزلْ مِن قَليبٍ وَاحدٍ، وَنجرِي في حُلبَةٍ وَاحِدَةٍ، لَيسَ لِبَعضِنا عَلَى بَعضٍ فَضلٌ، وَلا قائمُنا عَلَى قَاعِدِنا فَخرٌ، كَلِمَتُنا مُؤتَلِفَةٌ وَأُلفَتُنا جَامِعَةٌ وَدَارُنَا وَاحِدَةٌ، يَجمَعُنا كَرَمُ العِرقِ، وَيَحوِينا شَرَفُ النجارِ**،... ». (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٧/ ١٦٣)

لقد كان معاوية على دراية تامة بأنّه لايستطيع مواجهة الإمام والوقوف ضده مع كل الرصيد الضخم الذي يحظى به أمير المؤمنين(ع) وما له من سابقة مشرقة في الدين، ولهذا اضطرّ على أن يجعل نفسه وقومه في قرابة مع الإمام علي(ع) ويطرح الأحداث المنطقية والعقلية لتحقّق القداسة في الأذهان والنيل من هالته في الوجدان الشعبيّ.

يمثّل هذا الخطاب مجموعة من الأحداث التي لا تعرض لأي شكّ ولا يختلف بين معاوية والإمام(ع) على وقوعها، إذ أنّها تكتسب خاصيتها الحجاجيّة بالاتفاقية بين الجميع. هذا المنطلق يعرف عند برلمان **بالوقايع** والتي «تمثّل مقدمات أو منطلقات تشترك بين المحاجج وعدّة الجمهور والتسليم بالواقعة من جانب الفرد ليس إلّا تجاوبا منه لشيء يفرض نفسه على الجميع» (صولة، ٢٠٠١: ١٠٢). في الحقيقة يحاول معاوية التسلط على الموضوع بغض النظر عن بحث المخاطب وتقصيه، حيث ذكر الحجج البديهية ثمّ جزّءها وبيّنها منطقية في قرابة النسب؛ وذلك لاستيلاء قوّته العقلية على القوّة القهرية. ونظرا لأن يعرف الكلّ نسبة الإمام(ع) مع معاوية ويعرف أيضا معاوية وتاريخ أجداده ونسبه، فإنّها تكون حجج بديهيّة، لهذا تسمّى مثل هذه الحجج والإقناعات **بالحجاج التوجيهيّ** الذي ينشغل المستدلّ بأقواله بحيث إلقاؤه لها ولاينشغل بنفس المقدار يتلقي الخطاب لها وردّ فعله عليها... فهو يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله (عبدالرحمن، ١٩٩٨: ٢٢٦).حيث لايهتمّ بالإمام(ع) في إلقاء حجّته ولايتوقف قصده على ردّ الفعل على قصد مخاطبه بل يكتفي فقط بإرسال حججه وتكميل خطابه.

يتوقف معاوية على الخاصية الحجاجيّة في خطابه للعبارات التقريرية (**فَإِنّا بَنِي عَبدِمَنافَ لم نَزلْ مِن قَليبٍ وَاحدِ ونجرِي في حُلبَةٍ وَاحِدَةٍ، لَيسَ لِبَعضِنا عَلَى بَعضٍ فَضلٌ، وَلا قائمُنا عَلَى قَاعِدِنا فَخرٌ** ....) حيث إنّها تمثّل جملا إخبارية تعرض الحقائق وقد جاء جلّها على صورة الحجج التي رتّب معاوية من خلالها استدلالاته بحرف عطف "**الواو**"، حيث يشدّ البناء ويستحكم الجواب ويفرض الإقناع، فيشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين حجتين أو أكثر ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل يعمل على رصّ الحجج وتماسكها وتقويتها فضلاً عن التدرجيَّة أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها (النّاجح، ٢٠١١: ١٥٦). كما يلي السلم الحجاجي:

ح١: **من بني عبد مناف**

ح٢: **من قليب واحد**

ح٣: **من حلبة واحدة**

ح٤: **دَارُنَا وَاحِدَةٌ**

ح٥: **يَجمَعُنا كَرَمُ العِرقِ،**

ح٦: **يَحوِينا شَرَفُ النجارِ**

ن: عصمة بني أمية فأحقية معاوية للخلافة

ونلاحظ أنّ تأتي الحجج الواحدة تلو الأخرى بشكل تنازلي، مستعينا بحرف عطف "واو"، حيث يرسل أوّلا الحجج الأقوى وصولا إلى أضعف حجّة في سلّم الخطاب. ومعاوية يلجأ هنا إلى هذا النوع من السلالم لكي يعرف حق المعرفة أنّ البدء بالحجة الضعيفة قد يواجه ردّا من الإمام(ع) بالحجة الأقوى، فلهذا يأتي بالحجة الأولى أقوى من الحجج الأخرى لتكون لخدمة النتيجة أكثر من غيرها، إضافة إلى ذلك أنّ معاوية تبدأ خطابه بهذا الحجة على صورة الجملة التأكيدية بـ «إنّ» لأهميتها الكبيرة بين الحجج الأخرى «فالاستهلال يحتلّ مكانة بارزة من حيث الأهمية من ناحية ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء» (إبراهيم الفقهي، ٢٠٠٠: ٦٥). فهذه تعدّ تقنية حجاجيّة في بعده التداوليّ، الذي يتحرّك المحاجّ على الإبداع والكشف عن طاقات في الخطاب لا تتوافر في الخطابات العاديّة.

ويردّ الإمام(ع) على خطاب معاوية بشكل المساوات، قاصداً منها أن يرشد معاوية ويحذّره حتى يخرج من طريق الضلال التي يسلكها فيقول: «**وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِمَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِالْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي‌طَالِبٍ وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ**» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٥/ ٧٤).

يلتزم الإمام(ع) نفسه بمراعاة الموضوع وطبيعة المخاطب وظروفه، لنجاح خطابه وإقناع خصمه والتأثير عليه، فلهذا يجب عليه أن يكون على وعي كامل لقصد مخاطبه ورؤيته في الخطاب، كما أنّه(ع) يراعي مراعاة تامّة بطبيعة خطاب خصمه معاوية ولايلقي قصده إلّا بالاهتمام بخطاب مخاطبه، حيث يقوم بالتوازي التركيبي والموضوعي في هذا الخطاب ردّا على معاوية بطريقة التقابل الصريح وذلك للوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه، فهذا يظهر لنا أنّ الإمام(ع) يرسل خطابه على طريق **الحجاج التقويمي** وهو «إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، ولا يقف المستدل على فعل إلقاء الحجة على المخاطب، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي؛ باعتباره هو نفس أول متلق لما يلقي» (عبدالرحمن، ١٩٩٨: ٢٢٨)، وذلك علي العكس لخطاب خصمه الذي يرسل على طريقة الحجاج التوجيهي ويكون فيه معاوية مكتفيا بقصده فقط أثناء تكوين حججه.

يستعمل الإمام(ع) منهجا تداوليا في هذا السياق الحجاجيّ للردّ على خصمه، غير أنّه لايقصد إلى إقحام مخاطبه وإنّما يحاول في إلقاء حقيقة يهدف من خلالها إحداث التأثير الفكري في المتلقي نفسه، كذلك إحداث التغيير في مواقفه الفكرية والعقيدية ولهذا بنى أسلوبه الحجاجي على مساوات خطاب خصمه وبنى على منطلقات عقلية تسهم في إبطال دعوى معاوية وذلك عن طريق التقابل من حيث اللفظ والموضوع، حيث يحمل في طيّاته مؤكدات عقلية لدى المخاطب كالآتي:

ليس أمية ← كهاشم / لاحرب ← كعبدالمطلب / لاأبوسفيان ← كعبدالمطلب

لا المهاجر ← كالطليق / ولاالصريح ← كاللصيق / ولاالمحقّ ← كالمبطل / ولاالمؤمن ← كالمدغل

المقابلة الموضوعية هي أنّ الإمام(ع) لا يبعد عن الموضوع تداوليا بل يراعي لمراعاة السياق في ردّه على معاوية في تداولية خطابه مع خطاب خصمه. وذلك أنّ المقام أو السياق عند الجاحظ من حيث التداولي يقوم بالدوران حول القول، فمثلا المحاج محكوم باعتبار خصمه وجمهور المستمعين، وكذلك باعتبار التناغم بين غرضه وانعكاس وبلاغة قوله والسياق الذي يدور فيه الخطاب، وهذا يعني أن المحاج بمراعاة الحال وقصد من يخاطبه. (صمود، ١٩٩٨م: ٢٠٩). أمّا التقابل اللفظي فيأتي(ع) بالمقابلة بين الشيئين دون أي فاصلة، لأنّه يقصد أن يجعل الطرفين المتقابلين على أعين المتلقّي في آن واحد ليقارن المتلقي بين الأمية والهاشم وبين عبدالمطلب وأبي‌طالب دون أيّ فاصلة ثمّ يفضّل أحدهما

على الآخر. فيصرّ على هذا الأسلوب الحجاجيّ الذي تعدّ تقنية حجاجية لإقناع المتلقي والتأثير عليه وليس فقط أسلوبا جماليا فحسب وإنما هو في خدمة التقنية الإقناعيّة. فمن هنا فإنّ التقابلات اللفظية والموضوعية تتمثل عند المتلقّي منطلقات عقلية وأسمهت في تحقق نتيجة قطعية وهي اتباع بني هاشم فهم أصحاب الحق ومصيرهم الجنّة على خلاف بني أميّة فهم مصيرهم النار.

وأمّا بالنسبة لاستعمال ثلاثة الأوصاف على وزن "فعيل" من قبل الإمام(ع) في خطابه، فإذ أنّه(ع) يستعمل كلمة "الطليق" وهي بمعنى «أسرّ واطلق بالمنّ عليه والفدية وأبوسفيان كانا من طلقاء في يوم الفتح وهاجر تخلصا منه» (أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٥/ ٨١) لدلالة هذه الصيغة على اسم المفعول وهي أكثرا حجاجية من هذا الأخير؛ لأنّ صيغة "فعيل" في الدرجة الأولى تدلّ على الثبوت ومعنى قريب منه، وفي الدرجة الثانية تدلّ على الماضي واتّصف به كما نقول: قتيل وهو قتل فعلا (خضير، ٢٠١٢: ٢٢٥) فنظرا لهاتين الميّزتين لهذا الوزن، يتمّ إثبات هذه الصفة على معاوية إثباتا قطعيا. إضافة إلى ذلك أنّ صيغة "فعيل" أبلغ وأكثر شدة؛ لأنّها تدلّ على الشدّة والمبالغة مثلا حين نقول: المجروح يعني جرحا صغيرا أو بالغا، ولايقال للجريح إلا إذاكان جرحا بالغا (السامرائي، د.ت: ٦٢). فعلى هذا الأساس يتمّ الإمام(ع) اختيار الألفاظ الدقيقة لدعم حججه؛ لأنّ الألفاظ تعتبر علامة حجية تساعد على ارتباط المحتوى بالمسلمات الحجاجيّة من حيث دلالتها فتتمثل عند المتلقي بعدا وظيفيا تداوليا.

وأمّا السلالم الحجاجيّة في خطاب الإمام(ع) فيأتي متوازيا مع خطاب خصمه:

ن: أحقية الخلافة لبني هاشم فمصيرهم الجنّة

ح٧: **وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ**

ح٦: **وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ**

ح٥: **وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ**

ح٤: **وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ**

ح٣: **وَلَا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ**

ح٢: **وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِالْمُطَّلِبِ**

ح١: **فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ**

فيبدو أنّ الإمام(ع) على عكس خطاب خصمه يرسل حججه بشكل تصاعدي، فيبدأ بإيراد حججه تصاعديا أي من الحجة الضعيفة فالقوية ثم الحجة الأقوى، بمعنى أن الحجج في هذا النمط من السلالم يمكن تصنيفها بأنها «نوع

من مؤكدات الخطاب لأنّ الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجاج هو السعي إلى ترسيخ دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب» (مطر حسين، حسام كاظم، ٢٠١٨: ١٠٩١)، وبما أنّ إرسال الحجج ينطلق من أسفل السلم فكثرما تطرح الحجة الأولى في الخطاب لتمهّد الطريق للمتلقي وتحفزه على المتابعة لما سيأتي بشكل تصاعدي وتستميل المتلقي وفقا لقوّتها الحجاجيّة.

وموضع آخر يلجأ معاوية مرة أخرى إلى حجّية القرابة والألفة ويقول: «**سَلامُ اللهِ عَلَى مَن اتّبَعَ الهُدَى، أمّا بَعدُ، فَإنّا كُنّا نَحنُ وَإيّاكم يَداً جَامِعَةً، وَألفَةً أَليفَةً، حَتّى طَمَعتَ يا ابنَ أبي طَالِب فَتَغَيَّرَت** ...» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٧/ ١٦٩).

تقف طبيعة خطاب معاوية في غالب الأحوال على استراتيجية التهديد والاتّهام بالنسبة للإمام علي(ع)، إلّا أنّه قد يلجأ إلى استراتيجة أخرى وهي استراتيجية التضامن، حيث يسعى من خلالها إلى إظهار عدم وجود الفوارق بين المرسل والمرسل إليه والإشارة إلى وجود التقارب والألفة بينهما وهذا فقط يظهر في بنية الخطاب الشكلية ولا ضمنها. في هذه الرسالة يعتمد مرّة أخرى معاوية إلى حجّية القرابة والألفة، ويسعى في إظهار عدم العداوة بين بني أمية وبني هاشم، فلهذا يذكر في بداية خطابه (**سَلامُ اللهِ عَلَى مَن اتّبَعَ الهُدَى**). هذه العبارة تكون تناصا بخطاب رسول الله(ص) ومنهجه، والتي يستغلّها معاوية في بداية خطابه كتقنّية حجاجية لكي يحدّد مناسبة الخطاب من بدايته وهي اتباعه من رسول الله، كما أنّ الحجاج «بالشاهد أو التناص يساعد على تحديد الغرض المرصود للاستدلال عليه ويدفع إلى فعل شئ مستوحى من الشاهد لوجود سلوكات عفوية للاقتداء في الإنسان» (عادل، ٢٠١٣: ٢٢٣). ولكن يحوّل معاوية دلالة هذه العبارة من المعنى العام إلى المعنى القصدي الذي يرسل إلى المتلقي على نحو غير المباشر للوصول إلى الأهداف السياسيّة، وذلك لِعدم ذكر اسم رسول الله(ص) مباشرا لكونه ملجأ إلى المفرّ عند ضعفه مقابل خصمه؛ وهذا من جهة، ومن جهة أخرى إضافة حجة أخرى تتمثّل بواسطة "حتّى"، فتُكمل القصد الضمني المنشود من خلال الحجة السابقة حيث يقول: (**حَتّى طَمَعتَ يا ابنَ أبي طَالِب فَتَغَيَّرَت**...). الرابط اللغوي"حتّي" في هذه العبارة يلعب دورا بارزا وقويا في إظهار المعنى الضمني، فعلى رغم من تعدد الدلالات الاستعمالية لـ "حتّى" يتّضح لنا نتيجة واحدة من أجل تحقيق غاية حجاجيّة سابقة فيتقرر الحكم بعد حتّى" في إفادة الخصومة من قبل معاوية. في الحقيقة يقصد معاوية من وراء الحكم قبل "حتّى" إظهار الألفة والقرابة باستعمال ضمير "نحن/نا" في قوله (**فَإنّا كُنّا نَحنُ وَإيّاكم يَداً جَامِعَةً، وَألفَةً أَليفَةً**)، حيث تردّد ضمير المتكلم يدلّ على المودّة بين بني هاشم وبني أمية، لأنّ ضمير التكلم بصيغة الجمع يجعل

المرسل والمرسل إليه في بؤرة الأحداث للخطاب، ومعاوية من خلال تكرار هذا الضمير يريد أن لايرتدّ بالمتلقي إلى الجانب، إضافة إلى أن تكراره هنا بثلاث مرّات في جملة واحدة يجعل زيادة توكيد المعنى، فمجيئه بصيغة "نحن" يشير إلى تأكيد النسبة لرسول الله (ص) وعدم المعارضة والمواجهه مع آله، لأنّ معاوية بإمكانه أن يستعمل ضمير "أنا" و"أنت" لبيان قصديته ولكن جاء بالضمير "نحن" بصيغة الجمع للدلالة على المشاركة في أمر الخلافة في جانب الإمام(ع)، والممانعة عن سوء التلقي. يستعمل صاحب الخطاب ضمير "نحن" حتى يوصل اهتمامه للمتكلم والمخاطب معا، وهذا من حيث التواصلية يدلّ على تضامن المرسل مع المرسل إليه وقرابتهما وأمّا حيث الأسلوبية والدلالية فذلك أنّها تدفع بالقارئ إلى إنتاج دلالة معينة سواء من خلال ردّ هذه الضمائر إلى مراجعها أو بتقديرها في بعض الأحيان، وهو ما يوسع من دلالات القصيدة (عبدالمطلب، ١٩٩٥: ١٤٤). وهنا الربط السلّمي الذي ربط بين النتيجة والحجج المقدمة بشكل تالي:

ح١: سَلامُ اللهِ عَلَى مَن اتّبَعَ الهُدَى

ح٢: فَإِنّا كُنَّا نَحنُ وَإيّاكم يَداً جَامِعَةً، وَأُلفَةً أَلِيفَةً

ح٣: حَتّى طَمَعتَ يا ابنَ أبي طَالِب فَتَغَيَّرَت

نتيجة: فالقدح بشخصية الإمام(ع) وإظهار مشروعته للخلافة

والملاحظ في هذا الخطاب أنّ الحجج في بنية الخطاب جاءت متناقضة حيث إنّ الحجّة الأولى والثانية أضعف في إظهار قصد معاوية والثاالثة أقوى، فتلك الثالثة التي تسبق بـ "حتى" تعمل على تثبيت النتيجة وهي طموح معاوية لنيل الخلافة وإثبات مشرعته لها.

يردّ الإمام(ع) على معاوية في رسالة، مؤكدا فيها على الاختلافات التي كانت قبله ولايشدّدها أحد حاليا: «**فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ**» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٧/ ١٦٢).

بدأ الإمام(ع) خطابه في تأييد خطاب معاوية حيث أكّد على الألفة القائمة بين بني أمية وبني هاشم ويؤيّد هذه الألفة في العبارة (**فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ**). ثمّ يأتي بالرابط "فاء" في قوله (**فَفَرَّقَ بَيْنَنَا** ...). هذا الرابط يعمل على الترتيب والاتصال والمسارعة في إلقاء الحكم دون أي مهلة،

كما يعتمد على فاعلية الإقناع في إبطال مزاعم معاوية للتعبير عن الثنائية التي تتمثّل في المقدمة التي تسبق "الفاء" والمقدمة التي تعقبها. ولهذا كان جواب الإمام(ع) يقترن بأدلّة عقلية تفند ما اتّهم عليه وفي الوقت نفسه يؤثر على المخاطب والمتلقي بالغ الأثر. وكان هدف الإمام(ع) هو إبطال اتّهام معاوية على فتنته على تفريق بين بنى هاشم وبني أميه. وهذا ماجسّده في قوله (**فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَ فُتِنْتُمْ**). فهذه العبارة شكلت لدى متلقي أو المخاطب حجة تدلّ على وجود هذه التفرقة والعداوة من ذي قبل، ولايرتبط هذه الاختلافات بقتل عثمان ولهذا كل مايطرح معاوية هو اتّهام وافتراء، ومن هذا المطلق مازج الإمام(ع) بين الماضي والحاضر.

لقد ذكر الإمام(ع) أزمنة مختلفة ومتعاقبة واستعملها كحجة للانتقال من حالة إلى حالة أخرى، كما استعملها للتقابل الزمني مع إدعاء معاوية، بعبارة أخرى ادعى معاوية في خطابة الألفة بين بني أمية وبني هاشم في الزمن الماضي وهذه الألفة تعرض للخطر لأجل طمع الإمام(ع) للخلافة، لهذا إنّ الإمام(ع) يقارن بين الماضي والحاضر لكي يقنع مخاطبه، إذ أنّه يشير باستعمال كلمة" الأمس" إلى بداية الدعوة النبوية في حياة رسول الله(ص)، وأشار من خلال كلمة "اليوم" إلى زمن خلافته بولاية المسلمين، فأراد الإمام(ع) من خلال المزج بين الزمنين أن يخبر معاوية بحقيقة تاريخية تضفي بالنص قوّة إقناعية وتعبيرية. كما أنّه يكشف الستار عن الأحداث التي حدثت في الزمنين بعلاقة التضاد حيث تسهم هذه العلاقة بقيام التتابع الزمني في بناء الحجة للخطاب. يمكن تصور هذه العلاقات والتتباعات على النحو الآتي:

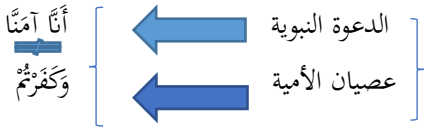

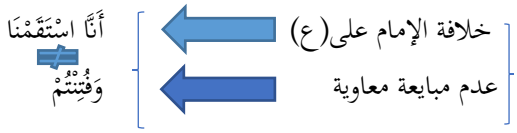

والملاحظ في هذا التصور أنّ المقدمة الأولى والثانية في المستوى الأول تظهران التتابع الزمني ثمّ في المستوى الثاني الأحداث التي وقعت فيهما وفي الأخير تظهران حجة التضاد التي تحتلّ في قمة المخطط الحجاجيّة، فهكذا جعلت هذه

الحجج من قبل الإمام على(ع) تظهر أختلاف بين الفئتين.

في رسالة أخرى أرسلها معاوية للإمام(ع) لمطالبة دم عثمان: «**لَعَمري لو بايعك الذين ذكرتَ وأنتَ بَريء مِن دَمِ عَثمانَ، كنتَ كَأبي بكر وعمر وعثمان، وَلكنّكَ أَغرَيتَ بعثمان المهاجرينَ، وَخَذَلتَ عَنه الأَنصارَ، فَأَطاعَكَ الجَاهلُ، وَقُوِيَ بِكَ الضَعِيفُ. وَقَد أبَى أهلَ الشام إلّا قِتالَك حَتّى تدفع إليهم قَتلةُ عُثمانَ**» (إبن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٦/ ٢٣١).

كما أشرنا سابقا أنّ المراسالات بين الإمام عليّ(ع) ومعاوية يعود أهم أسبابها إلى مخالفته عن المبايعة مع خلافة أمير المؤمنين (ع)، ولو اتّخذ معاوية دم عثمان ذريعة للابتعاد عن المبايعة والمخالفة مع الحكومة العلوية، كما يعتقد الريشهرى «أنّ البواعث التي أملت على معاوية اتهام الإمام بالتورط بقتل عثمان، فقد تمثّلت بالطعن بأهليّة الإمام في تسنم الخلافة، كما تحركت الأجواء الاصطدام العسكريّ المباشر معه بذريعة الطلب بدم عثمان» (الريشهري، ١٤٢٥: ٣٨).فعليه إنّ الحجج التي استخدمت في الخطاب استلزمت النتيجة والمقدمات خاضعة لها ومنطق اللغة يحكي عليها، فيمكن الوصول إلى تلك النتيجة من خلالها:

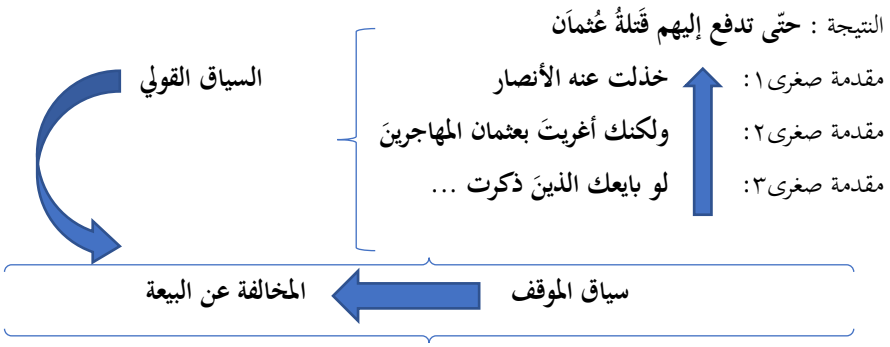

في هذا الخطاب يركّز معاوية على الثأر من دم عثمان ولهذا يقترن خطابه بالروابط الحجاجيّة والعوامل الحجاجيّة، لتقوية الحجج حتى تكون أبلغ في إقناع المتلقي أو المخاطب. وأمّا عن العوامل الحجاجيّة في تقوية دلالة النص فيمكن القول: لقد أسهمت علاقة القسم (لعمري) بجوابه (**لو بايعك الذين ذكرتَ ....عمر وعثمان**)، في الكشف عن جانب من جوانب النتيجة، حيث تبلغ دلالة النص منتهاها عند المتلقي. يعمل القسم على توجيه الخطاب وإثباته ويجعله أن يحمل على أنّه واقع ولامحالة، فلهذا يمثّل قوة في الكلام ويضاعف تأثيره على المخاطب ويستميله نحو ما يقصد طرحه من بداية خطابه.«يلجأ المتكلم إلى القسم لتأكيد كلامه وتثبيته وفي الوقت نفسه يقيم من خلاله الحجة

على المخاطب ويلزم بها لتحقيق الغرض التواصلي الذي يطمح إلى دفع المخاطب إلى الوثوق بكلام المخاطِب»(زبيدي، ٢٠١٦: ١٥٣). يأتي معاوية أسلوب القسم في خطابه بالملفوظ (لعمري) الذي يكون ضروريا لانتاج الإقناع أو احتمال حصوله على الأقلّ، لأنّ استعمال قسم من جانب معاويه لايكون إلا لتأكيد قصد النص. ثمّ يأتي بالحجة مقترنة بأداة شرط "لو" الامتناعي في قوله (**لو بايعك الذين ذكرتَ**...). يأتي معاوية حجته الأولى من خلال اقتران القسم بالشرط الامتناعي لكي يزداد ذريعته لعدم المبايعة، حيث يقول: "لو بايع الناس معك بعد الخليفة الثالثة، كنت كغيره من الخلافاء ولاريب في خلافتك". في الحقيقة جاءت الجملة الشرطية بأداة "لو" الامتناعي لكى يظهر عدم فعل هذه القضية " مبايعة الناس" ويضاعف درجة هذه الحجة من خلال القسم الذي يسبقها فيكمن هذا الخطاط بشكل تالي:

لعمري ← + "لو" الامتناعية ← + الحجة الأولى(بايعك الذين ذكرتَ...) = عدم المبايعة

علاوة على أسلوب القسم، يأتي معاوية بأسلوب التكرار الذي يؤثّر على البعد التواصليّ والتفاعليّ للخطاب في جانب القسم. لاشكَ في أن معاوية يلجأ إلى التكرار لشحن النص بطاقة حجاجية تجعل جلب انتباه المخاطب أو المتلقّي للخطاب، لأنّ في التكرار قيمة حجاجية تتعلق بالتأثير في المتلقي ليصل إلى الاقتناع، وهذا الأمر يجعل «التكرار أخفى وأشد أثرا في المتلقي، بحيث يحمل إضافة دقيقة لما كرّر فيستعيد المتكلم ما قاله ولكن يضيف إليه ما يجعله بعيدا كل البعد عن التماثل. فالمحاج حين يستعيد ما قاله ويضيف إليه إنّما ينطلق من أمر ويبني عليه، فما كان مقدمة يصبح حجّة، وما كان حجة يصبح مقدمة لحجة أخرى» (الدريدي، ٢٠٠١: ١٧٢). بعبارة أخرى في حالة تردّد كلمات "دم عثمان أو عثمان أو قتلة عثمان" في هذا الخطاب يلتزم الإمامَ(ع) بالعكوف على هذه القضية ولا غير ولذلك يريد معاوية الإصرار عليها ويريد من الإمام(ع) بمتابعتها.

وأمّا عن الروابط الحجاجيّة فإنّ " واو الحالية " في عبارة (**وأنتَ بَريء مِن دَمِ عَثمانَ**) تأتي لربط الجملة السابقة مع دلالتها المختلفة بالجملة الحالية مع دلالة أخرى، ببيان آخر يذكر معاوية قضية المبايعة ثمّ قبل أن ينتهي منها يذكر قضية دم عثمان كجملة اعتراضية للحفاظ على المعنى الرئيس:

كما أشرنا أنّ السياق الذي يحيط برسائل معاوية إلى الإمام (ع) هو مطالبة دم عثمان، فنرى في هذا المخطط أنّ معاوية على رغم ذكر قضية المبايعة في هذه الفقرة لاينسى القضية الرئيسة ولهذا يذكر الجملة الحالية كالاعتراضية لكى

يحفظ عليها والرابط "الواو" هنا يدور دورا مهما في جمع بين الموضوعين والذي يحكم على المشاركة. في الحقيقة أنّ معاوية يذكر قضية دم عثمان في هذا الأثناء لكي يخبر مخاطبه عدم نسيان دم عثمان بين كلّ هذه الأخبار.

وجاء ردّ الإمام(ع) على تلك الرسالة لمعاوية قائلا «... **وَأَمّا تلك الَّتِي تُرِيدُ فَإِنّها خُدعةُ الصبيّ على اللَبَنِ في أوّل الفصالِ وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى، فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ، وَالسَّلَام**» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١٦/ ٢٣٣).

لا يرى الإمام(ع) أمامه مانعا للردّ على مزاعم معاويه واتهاماته فيقوم به في فقرة صغيرة مع رعاية جانب الاختصار والإيجاز على عكس معاوية الذي يطنب في كلامه. والإمام(ع) يتكرر القضية، حيث يحاول في هذا الخطاب الجدليّ أن يظهر لمعاوية أن قضية قتل عثمان والثأر من القاتلين ومطالبة دمه كلّها مزاعم وذريعة ولهذا ليس موضوعا صالحا للذكر وهذا واضح على الجميع لهذا لا يلتزم الإمام(ع) نفسه بتردّد القضية لفظا في خطابه بل يعبر عنه بشكل إشاري :

قضية قتل عثمان

وَأَمّا تلك الَّتِي تُرِيدُ فَإِنّها خُدعةُ الصبيّ على اللَبَنِ في أوّل الفصالِ

كما يتمثل الإمام(ع) ردّه في عبارة "**خُدعةُ الصبيّ على اللَبَنِ في أوّل الفصالِ وَلَعَمْرِي**". تناول الموضوع بهذا الشكل في خطابه يدل على أنّ الإمام يراعي سياق الخطاب الخارجي سياسيا واجتماعيا كما يراعى حال المخاطب ومقاصده حيث أن معاوية لايريد قتلة عثمان بل يريد السلطة والخلافة فمن هنا أنّ الإمام لايتطرّق إلى هذا الموضوع ظاهرا بل يتناوله بشكل ضمنيّ علما لسياقات الخطاب. تدور تقنية الحجاج في هذه الفقرة حول الخديعة والحيلة، ويصف الإمام(ع) أعمال معاوية بالمثل ليقرّر أنّ مطالبة معاوية بالثأر من قتلة عثمان ما هي إلّاحيلة أراد من خلالها أن ينقلب رأسا على العقب الرأيَ العام بالنسبة للإمام(ع) وخلافته، فإذن إنّ معاوية اتّخذ دم عثمان ذريعة للابتعاد عن المبايعة والمخالفة مع الحكومة العلوية ثمّ الوصوله إلى مبتغاه وهو القدرة. فمن هنا استعمل الإمام هذه الصورة الكنائية التي تلمح بالدلالة على مخادعة معاوية للناس، ليسهل استقرار قصده في ذهن المتلقي، بحيث إذا حان وقت فصل الطفل عن لبن الأمّ فالأمّ تمتزج ثديها مادة مُرّة أو شيئا آخر، لكي ينفر الطفل عن اقتراب بثديها ولبنها، حتى ينفصل عن الرضاعة. وعلى هذا الأساس أنّ دم عثمان عند معاوية وسيلة للوصول إلى هدفه، كما أنّ المادّة المرّة عند الأمّ تكون وسيلة لفصل الطفل عن الرضاعة. فانطلاقا من هذا كلّه جاء المخطط على شكل تالي:

مطالبة معاوية القصاصَ من قتلة عثمان ← خدعة الصبي

الوصول على القدرة والسلطة ← فصال الطفل عن اللبن

هذا الأسلوب الحجاجي جاء على شكل التمثيل لينقل المعنى انتقالا متقنا ويساعد على أن يفهم المخاطب الدلالة بوضوح وقد يؤكّد فهمه. في الحقيقة قد تدلّ صياغة المثل بالأسلوب الخبري على تأكيد المعنى، بمعنى أنّ الإمام يستعمل هذه الصياغة بشكل دقيق لأنّ المتلقي بهذا الشكل يشعر بأهمية القصد.

٤– النتائج

– إنّ اللغة في المراسلات بين الإمام عليّ(ع) ومعاوية تستعمل من خلال التفاعل بين المرسِل والمرسَل إليه في سياق معيّن، ولم تستعمل استعمالا قائما على إنتاج الجمل والتراكيب التي تخضع لأنساق لغويّة معيّنة فحسب، بل تجربة المحاجّين في خطابهما تتمتّع بميزات التداوليّة أوّلا لثنائيّة الادّعاء والردّ وثانيا الحجاجيّة لإقناع المخاطب والتأثير فيه. لذا يستعملان أساليب متنوعة حتى يكون أقدر على التأثير في المتلقّي. وتنوّعت عندهما هذه الأساليب بين النحوية، والبلاغية لإثارة الذهن وتحريك المشاعر والأحاسيس، ولتغيير أفكارهما تجاه الآخر، معتمدين على وظائف إقناعيّة وإمتاعيّة ساقتها المواقف والظروف المضطربة نفسياً واجتماعياً وسياسياً آنذاك وهي تلعب دورا كبيرا في تأدية المعنى.

– يتبيّن لنا أنّ الحجاج عند الإمام(ع) يتمثّل في إفهام مخاطبه دون إفحامه، بطابع عقليّ وإرشاديّ، ومعالجة موضوعات اجتماعية تتعلّق بالاهتمام بأمر المسلمين. أمّا الحجاج عند معاوية فيقترب من الجعجعة وإثارة الفتن، متمثّلا في دائرة العنف الاجتماعيّ والسياسيّ. ويحرص من خلاله على إظهار تفوّقه أمام أميرالمؤمنين(ع) والتجاوز المعرفيّ ثمّ يسعى إلى الاحتجاج بالسلطة وإفحام مخاطبه دون إفهامه في المعركة اللسانيّة.

– يتمثّل الخطاب الجدلي عند الإمام(ع) في طابع تاريخيّ واجتماعيّ ويبتعد عن القضايا المصنوعة بل يلجأ إلى الأحداث الواقعيّة التي كانت ولاتزال على أعين الجمهور فيقصد من خلالها إقناع المخاطب بالقضايا التاريخيّة السائدة ليترك طريقة الغيّ والضلالة. هذا يدلّ على شخصيّة الإمام(ع) بأنّه رجل ذو حكمة وعلم، يعالج الأمور بكلّ هدوء، وبعقلانيّة، بعيدة عن ذمّ الآخرين. في الحقيقة يريد الإمام(ع) من خلال الحجاج التقويمي إبراز الفروق بينه وبين مخاطبه من خلال النسب والنجار على الطريقة الواقعيّة التاريخيّة لا المصنوعة الشخصيّة فمن هنا يجعله على القضيتين المتقابليتن في آن واحد ليظهر له الصواب. غير أنّ معاوية يصبّ خطابه من خلال الحجاج التوجيهي دون الاهتمام بالوقايع في موضوعات متنوّعة وهي الفخر والهجاء والسخريّة حيث كشف عنها السياق ومقاصد مرسلها لأنّ معاوية من خلال هذه الحرب الدعائية يقصد أن يزيل القداسة من شخصية الإمام(ع) والقدح بها فلهذا لايستطيع اللجوء إلى الأحداث

الواقعية بل يلجأ إلى اللاواقعية والمصنوعة ليتأثّر على الجمهور.

– يقدّم لنا الخطاب الحجاجيّ العلويّ مشروعاً إقناعياً ثريّا حسب ما يقتضيه السياق وموقف المخاطب، ومن أهم التقنيات التي يستخدمها الإمام(ع) هي التمثيل والتقابل والتي تتحوّل الخطاب من الحالة الإخباريّة المتمثّلة إلى الحالة الإقناعيّة والتأثيريّة بنفي ادّعاء معاوية وإثبات حقانيته(ع)، وبه يتشكل من خلال العوامل الحجاجيّة وروابطها كالواو، حتّى مناخا لتأكيد المعنى وتشديده في ذهن المتلقّي بتقريب المعنى البعيد عن طريق إزالة التأويلات المختلفة. وفي المقابل يستخدم معاوية تقنية التكرار والقسم كأهم التقنيات لقوّتهما الإقناعيّة وأثرهما على المتلقي لأنّ مثل هذه التقنييات تثبت في الذهن أسرع وهذا يعود إلى سلطتها على بناء الانسجام والتماسك في النصّ، حيث يبدو أنّ التكرار مثلا يتجاوز في خطاب معاوية الجانب الإيقاعي بل تعدّى إلى الجانب الدلالي. فيستغلّها لإثارة الناس على الإمام(ع) بسبب قتل عثمان حيث يأتي في الكلمة لفظا على شكل الإطناب.

٥– المصادر والمراجع

أ: الكتب

١. ابن أبي الحديد. (٢٠٠٧م). **شرح نهج‌البلاغة**. تح. محمد إبراهيم. ط١. الجزء السادس عشر والسابع عشر. بغداد: دار الكتاب العربيّ.

٢. ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٧م). **لسان العرب**. بيروت: دار الصادر.

٣. بلانشيه، فيليپ. (٢٠٠٧م). **التداوليّة من أوستين إلى غوفمان**. ترجمة: صابر الحباشة. ط١. السوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

٤. الحباشة، صابر. (٢٠٠٨م). **التداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص**. ط١. دمشق: صفحات للدارسة والنشر.

٥.الحمداوي، جميل. (٢٠١٩م). **التداوليات بين النظريّة التطبيق**. ط١. القاهرة: دارالكتب العربيّة.

٦. خضير، رملة البديري (٢٠١٢). **رسائل الإمام(ع) في نهج البلاغة– دراسة لغوية–**. ط١.النجف الأشرف: الروضة الحيدرية

٧. الجيلاني، دلاش. (١٩٩٢م). **مدخل إلى اللسانيات التداوليّة**. تر:محمد يحياتن. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.

٨.الدريدي، ساميّة. (٢٠٠١م). **الحجاج في الشعر العربيّ القديم من الجاهليّة إلى ق٢هـ**. *بنياته وأساليبه*. ط٢. القاهرة.:عالم الكتب الحديث.

٩. الريشهري، محمد. (١٤٢٥هـ). **موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ**، ج ٦،

ط٢، بيروت: دار الحديث.

١٠- الزبيدي، رائد جبار (٢٠١٧م)، **رسائل الإمام على (ع) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية –**، الطبعة الأولى، كربلاء: مؤوسة علوم نهج البلاغة.

١١. السامرائي، فاضل صالح (د.ت). **معاني الأبنية في العربية**. د.ط. الكويت:جامعة الكويت

١٢. الشهري، عبدالهادى بن الظافر. (٢٠٠٤م). **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

١٣. الصحراوي، مسعود. (٢٠٠٥م). **التداوليّة عند علماء العرب**. بيروت: دارالطليعة للنشر والتوزيع.

١٤. صمود، حمادي. (د.ت). **أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم**. تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة.

١٥. صولة، عبدالله. (٢٠٠٧م). **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، ط١، بيروت: دارالفارابي.

١٦. عادل، عبداللطيف(٢٠١٣). **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ط١، بيروت: منشورات الضفاف.

١٧. عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨م). **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. ط٢. بيروت: المركز الثقافي العربيّ.

١٨. عبدالمطلب، محمد (١٩٩٥م)، **البلاغة والأسلوبية**، ط١، القاهرة: الشكرة المصرية العالمية للنشر

١٩. العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦م). **اللغة والحجاج**. ط١. المغرب: العمادة في الطبع.

٢٠. فراهيدي، خليل بن أحمد. (١٤١٤ق). **العين**. تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط١. قم: مؤسسة الميلاد.

٢١. فقهي إبراهيم، صبحي (٢٠٠٠م)، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية**، ط١، القاهرة: دار قباء

٢٢. الناجح، عزالدين (٢٠١١م)، **العوامل الحجاجيّة في اللغة العربية**، ط١، تونس، مكتبة توزيع علاء الدين للنشر والتوزيع

ب: المجلات

١. أعراب، حبيب.(٢٠٠١م). «الحجاج والاستدلال الحجاجيّ».***مجلة عالم الفكر***. العدد الـ ٠٨. المجلد الـ ٣٠. صص: ٩٨ -١٠٨.

٢. مدقن، هاجر. (٢٠٠٦م). «آليات تشكل الخطاب الحجاجيّ بين نظريّة البيان ونظريّة البرهان». ***مجلة الأداب***

واللغات. العد ١٤، صص١٩٠-١٩٩.

٣. مطر حسين، مزاحم، مروة حسام كاظم، مروة (٢٠١٨م)، « السلالم الحجاجيّة في كلام الإمام حسن(عليه السلام)»، **مجلة كلّية التربية الأساسية**، كانون الأول والثاني، العدد ٤١، صص ١٠٩٠ – ١١٠٧.

٤. الولي، محمد. (٢٠٠١م). «مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم اليرلمان». ***مجلة عالم الفكر***. العدد ال ٢. المجلد ال٤٠. صص ٥-١٧.

References

Books

[1] Ibn Abi Al-Hudid, **Explanation of Nahj Al-Balaghah**,I1,Tah, Muhammad Ibrahim, first edition, Baghdad: Dar Al-Kitaab Al-Arabi, 1428.

[2] Ibn Manzur, Abul Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram, **Lisan al-Arab**, Beirut: Dar Al-Sadr, 1997

[3] Blanchett, Philip (2007). **Deliberative from Austin to Goffman**. Translation: Saber Al-Habasha. i 1. Syria: Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution.

[4] Al-Habasha, Saber (2008 AD**). Pragmatics and pilgrims**: introductions and texts. i 1. Damascus: pages for study and publication.

[5] Al-Hamdaoui, Jamil, **The deliberations between the theory of application**, first edition, Cairo: Dar Al-Kotob Al-Arabiya, 2019

[6] Khudair, Ramla Al-Badiri (2012). **Letters of the Imam (peace be upon him) in Nahj al-Balagha - a linguistic study**. 1st edition. Al-Najaf Al-Ashraf: Al-Rawdah Al-Haidariyya

[7] Al-Gilani Dlach, **Introduction to Pragmatic linguistics**, Tr: Muhammad Yahaten, Algeria: University Press, Algeria, 1992.

[8] Al-Deridi, Samia (2001 AD). **Pilgrims in ancient Arabic poetry from pre-Islamic era to BC 2 AH**. Its structures and methods. i 2. Cairo.: The Modern World of Books.

[9] Al-Rishahri, Muhammad. (1425 AH). **Encyclopedia of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) in the Qur'an**, Sunnah and History, vol. 6,

2nd edition, Beirut: Dar Al-Hadith.

[10]Al-Zubaidi, Raed Jabbar (2017 AD), **Letters of Imam Ali (peace be upon him) in Nahj al-Balagha - a pilgrimage study** -, first edition, Karbala: The Institute of Sciences of Nahj al-Balagha.

[11]Al-Samarrai, Fadel Saleh (d.). **Meanings of buildings in Arabic**. D.T. Kuwait: Kuwait University

[12] Al-Shehri, Abd al-Hadi bin Al-Dhafer, Strategies for Discourse: **A deliberative linguistic, Pragmatic**, I1, Beirut: New Book United House, 2004.

[13]Al-Sahrawi, Masoud, **deliberative among Arab, Pragmatic**, Beirut: Dar Al-Talia for publication and distribution, 2005.

[14]Samoud, Hammadi. (san ¬ta). **The most important theories of pilgrims in Western traditions from Aristotle to today**. Tunisia: University of Letters, Arts and Human Sciences.

[15]Abd al-Rahman, Taha, **the tongue and the balance or mental generation**, I2, Beirut: The Arab Cultural Center, 1998.

[16]Adel, Abdul Latif (2013). **The Rhetoric of Persuasion in Debate**, 1st edition, Beirut: Al-Dafaf Publications.

[17] Al-Azzawi, Abu Bakr. (2006 AD). **Language and pilgrims**. i 1. Morocco: Deanship of printing.

[18]Abdel Muttalib, Muhammad (1995), Rhetoric and Stylistics, 1st edition, Cairo: Egyptian International Publishing Company.

[19]Farahidi, Khalil bin Ahmed. (1414 AH). **Al.ayn. th. Mahdi Makhzoumi and Ibrahim al-Samarrai.** i 1. Qom: The Milad Foundation.

[20]Kassab, Walid Ibrahim. (1999 AD). **Arabic rhetoric - the science of meanings.** Dubai: Dar Al Qalam.

[21]Fiqhi Ibrahim, Sobhi (2000 AD), **Textual Linguistics between Theory and Practice, An Applied Study on the Meccan Surahs**, 1st edition, Cairo: Dar Quba.

[22]Al-Najeh, Ezz Al-Din (2011 AD), **Argumentative Factors in the Arabic**

Language, 1st edition, Tunisia, Aladdin Publishing and Distribution Library.

Journals

[23]Arabs, Habib. (2001 AD). **Al-Hajjaj and Argumentative Reasoning**. "The World of Thought Magazine". Issue 08. Volume 30. pp. 98-108.

[24]Mudaqqin, Hajar (2006 AD): "Mechanisms of Argumentative Discourse Formation between Statement Theory and Evidence Theory." **Journal of Literature and Languages**. pp. 190-199.

[25]Matar Hussein, Muzahim, Marwa Hossam Kazem, Marwa (2018 AD), "**The Pilgrimage Stairs in the Speech of Imam Hassan (peace be upon him)**", Journal of the College of Basic Education, December 2, Issue 41, pp. 1090-1107.

[26]Wali, Muhammad. (2001 AD). Introduction to the pilgrims Plato, Aristotle and Chaim Alerelman. "**The World of Thought Magazine**". Issue 2. The 40th volume. ff 5-17.

Al-Hajjaj's style in the correspondence between Imam Ali (PBUH) and Muawiyah (Pragmatic study)

Ali Bagheri[1], Ali Akbar Nursaideh[2*], Ali Zaighami[3], Seyyed Reza Mirahmadi[4]

1. Ph.D student, Department of Arabic Language and Literature, Semnan University, Semnan, Iran
2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Semnan University, Semnan, Iran
3. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Semnan University, Semnan, Iran
4. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Semnan University, Semnan, Iran

Abstract

arguments is one of the pillars of deliberative studies, and it is a dialectical process in the discourse in which the sender seeks to convince the recipients of a certain idea, increase their conviction in it, or respond to a certain belief, supported by arguments and evidence for the purpose of understanding, which is an influential communicative process whose essence is an issue or an action, based on It is based on a set of philosophical, linguistic and rhetorical mechanisms. This article attempted to study the rhetorical argumments and explore its mechanisms in the correspondence between Amir al-Mu'minin and Muawiyah in the light of pragmatic linguistics, with the aim of revealing the rhetorical mechanisms in influencing and persuading the addressee. Therefore, I initially dealt with the concept of deliberativeness and pilgrims and the relationship between them and the rhetorical mechanisms of argumments. Then I dealt with reading the rhetorical argumentative mechanisms in correspondence after clarifying the general context in them. Among the results of the research are: The experience of Imam and Muawiyah in correspondence has deliberative features of the interaction between the sender and addressee. Each of them tries to provoke and consolidate the idea with the intention of convincing the other of the rhetorical mechanisms that they propose that have an effective effect in strengthening and influencing the argummentation. Imam seeks, through his argummens discourse, to make his addressee understand and guide him with guidance and suspense with a religious character, and Muawiyah to impress his

2. *Corresponding Author's E-mail: noresideh@semnan.ac.ir

addressee and show his superiority over him through satire and irony through violence and coercion.

Keywords: Pragmatic, arguments, rhetorical argumentation, Letters of Imam Ali to Mu'awiyah.

اسلوب استدلال ورزی در نامه نگاری‌های امام علی(ع) و معاویه بر اساس کاربردشناختی زبان

علی باقری[۱]، علی اکبر نورسیده[۲*]، علی ضیغمی[۳]، سیدرضا میراحمدی[۴]

۱-دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان، سمنان، ایران
۲-دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان، سمنان، ایران
۳-دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان، سمنان، ایران
۴-دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه سمنان، سمنان، ایران

چکیده

نظریه استدلال ورزی یکی از شاخه‌های کاربرشناسی زبان است. این نظریه یک فرایند تقابلی در گفتمان محسوب می‌شود به طوری که کاربر زبان می‌کوشد مخاطب خود را در یک اندیشه مشخص و مشترک به نقطه اقناع برساند و یا اعتقاد او را رد کند مقاله حاضر سعی دارد با روش وصفی – تحلیلی و رویکرد کاربردشناسی زبان، حجاج را در نامه نگاری‌های امام علی(ع) و معاویه بررسی و عوامل و روابط تأثیر گذار را در اقناع مخاطب تحلیل کند. از این رو ابتدا به مفاهیم نظری متشکل از کاربردشناسی، حجاج و انواع حجاج پرداخته، سپس ابزارها و عناصر حجاج را در نامه‌ها استخراج و مورد تحلیل قرار داده است. از دستاوردهای این پژوهش این است که گفتمان حاکم بین امام علی(ع) و معاویه در گفتمان تعاملی و تقابلی است به طوری که فرآیند ارتباط بین فرستنده و گیرنده جاری است. احتجاج آوری امام علی(ع) و معاویه بر اساس مختلفی است به طوری که هر یک در قالب این عناصر در تهییج فکر و اقناع دیگری کوشیده‌اند. امیرالمؤمنین(ع) به ادعاهای دروغین معاویه پاسخ می‌دهد و معاویه سعی دارد برتری کلامی خود را بر امام(ع) نشان دهد و او را وادار به سکوت کند.

کلیدواژه‌ها: کاربردشناسی زبان، حجاج، پیوندهای حجاج، نامه نگاری‌های امام علی(ع) و معاویه.

۲. نویسنده مسئول: Email: noresideh@semnan.ac.ir